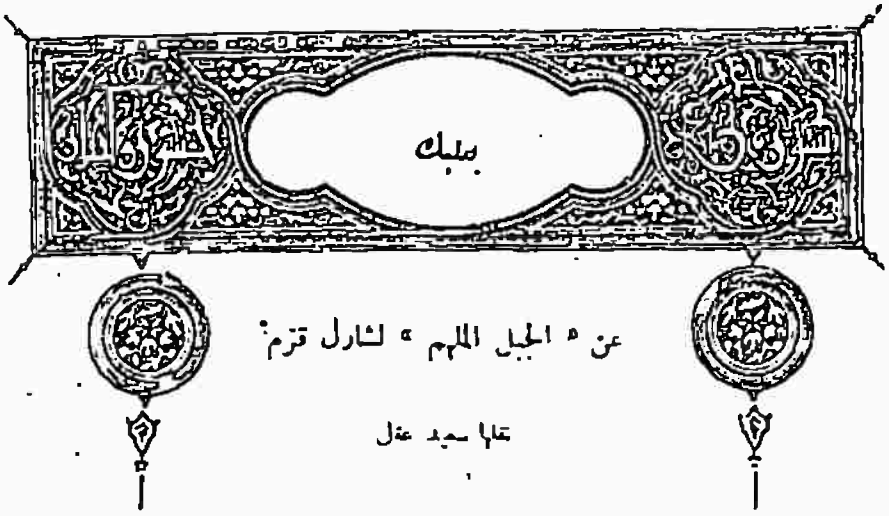

عن « الجبل الملهم » لشارل قرم*

نقلها سعيد عقل

ويا بَعلبكُ ، جِئي أُمسانيِ تلك العهودْ ،
حَناناً على العُرس يفقدنه فيكِ ، منذ الوجودْ !

فكم خضرةٍ صوَّحت هشيماً على أرْجُلكْ !
وأنتِ ، اليتيمة ، تحوينَ دنيا على أنْمُلكْ !

وَلدتِ الرجالَ الأُولى تهادَوا بِزندٍ أغرّ ،
وبالنخل من قامةٍ يصدُّون وَجهَ القَدَرْ .

هنالكَ أرضٌ تَوَج بالعشب لا يُجتنى ،
هنا عُمُدٌ نابتاتٌ ، على الدهر ، من أرضنا .

أراهنَّ في رقصةٍ ، سكارى بقلب الفضاء ،
يُفجِّرْن وجهَ الكواكب حِسّاً ، ووجهَ السماء !

فترقصُ آفاقُنا ، على لوعةٍ واشتياقْ ،
تغنّي غرامَ الصبيحة والغيمِ ، غِبَّ العناقْ !

∴

* النقل محظور .

نجومٌ تدور ، وتَرقُصُ من حول تيجانك النافراتِ الجلالْ ؛
وليلٌ غفا في جنايا التلالْ ؛
وظلٌّ كميٌّ تعرّى ، وعلّقَ ، فوقَ نقوشِكِ ، ثوبَ القتالْ !

نجومـاً عرائسَ ، يا عُمُدَ القِدَمِ ، أنتِ لنا أنبياءُ الأزلْ ؛
وأنتِ ملوكٌ مَضَوا ، ودُوَلْ .
وتدرينَ أني أجوبُ الخيـال ، على قدر حبّكِ للمُلهَمِ ،
فيا عُمُـدًا ، آلهاتِ الدَّمِ ،
أريقي الصباحَ على مبسمي !

وأجملي شِعري الفتيَّ إن يـتبعْ منكِ البخورْ ،
مُترِلًا رَونَقَ موتٍ عُـاريٍ ، ونشورْ ،
منكِ ، يا لحن العصورْ !

عُمُـدَ الصوّانِ ، والجُرأةِ ، يا أُفقَ الاملْ ،
روحُنا تجتـازُ ، في وتبكِ ، أبصارَ التُلَلْ ،
في انفـلاتٍ وثَمَلْ !

• •

هباءٌ من الشمس — مثل الفَراشاتِ يَرفلن بالطُهر ، والأحمرِ ،
ومثل الأهازيج من مرقص النحل ، يملأنَ سمعَكِ نثرًا طَري ،
جليـلًا بأسرارهِ البِكْرِ ؛
ومثل طيورٍ من الوهم زُرقٍ تُطوّفُ ملءَ نشيدِ التيـانْ ،
وبين النهارِ ، وبين الجِنانْ !

هبـاءٌ من الشمس يمشُقُ منكِ ، ويمسحُ من قِدَمكِ الأسمَرِ ،
ويـكرُ من خمرةٍ ، ويُعربدُ ، دون اخضرارِكِ ، في الاعصُرِ ،
ويرشفُ منكِ أفتانْ
وسرَّ زهـودٍ حِسانْ

تساقطنَ عن أغلِ نيّراتِ بَنَتْكِ زماناً حديثَ الزمانْ .

∴

ويا آيةَ العينِ تنهدُ ، سكرى ، على الوَرد من جسمكِ الخافقِ ،
فتخشع مقرورةً ، دون شيء عميقٍ بأسرارهِ دافقِ ،
تُخالُ على أغلِ الخالقِ ؛
وتنضج ملء بياض الصباح ، يُخضِّبها طيبهُ ، ونداهْ ؛
تُخال شِفاهاً بَرَتْها الثِّماهْ ؛
وتحت اللّمى منكِ ، يا بعلبكُ ، تحولُ لَمى مستطابَ الجنى ،
تَغَشَّ عن قُبلةٍ أشرقت بسرّ الحياة ، وأفقِ المُنى ؛
هي العين منكِ على ضفّةٍ ، فتقرّ حنا فوق ثغرٍ حنا !
تُرى انّما طائران استفاقا الى الزهر : أجنحةٌ وانفلاتْ ،
بيثّان ، في سكرةِ الزقزقاتْ ،
افاتينَ اشياء ، يا بعلبكُ ، تُريقُ الالوهة في الكائناتْ !

∴

هو الله يخصُّ شِماخَ السماءْ
بثُمِّ النورِ ، وجُهْمِ الغيومِ ، وحُكمِ القَدَرْ ،
وملكةِ الخالدين البَشَرْ ،
وبالرُّزقِ من نيّراتِ القضاءْ ،
وبالعُمُدِ الخُضرِ منكِ ، يُداعبنَ وجه الزمان ، ووجه النّداءْ !

∴

لا تَرِيمي عِنّا يَهيجُكِ أعراساً تراءى الصباحُ ، كيف تراءى ،
أسودَ النورِ ، أبيضَ الوهج ، سيّانِ اذا انتِ تلبسين صفاءَ ،
يسفحُ الحُلمَ في المحاجر ماءَ !
عُمُدَ الجبروتِ تُطلعُ للفنّ مِثالاً من الجلال الضاحي ،
أنتِ مرمى آمالنا ، يا خيالاً فيهِ كلُّ الحقيقةِ المساحِ !

لا تهادتْ أجلَّ منكِ رُؤى السحرِ ، وأسمى مهابةً في الفؤادِ ،
تسفعين التي عليك جمالاً فاجعاً بالرُّواء ، والانفرادِ .

واذا كان رَفرَفُ القوم ، والهالةُ في صخرةٍ من الفنِّ حيَّةْ ،
تشهدُ الأرضُ ، أيها الطَّللُ الرمَّةُ ، أنَّا اعزُّها مدنيَّةْ !

أيَّ أمنيَّةٍ تنعنْ ، ولا تنشقُ في سُكرِها ، وفي البحرانِ !
واذا اختال ، فوق حوريبَ ، موسى في شهابين من قوى وامانِ ،
فلنا سنَّةٌ بوجه الزمانِ !

ما عجيب طيَّ الضلوع على الاضداد ، والقلب في مراميه قلبُ ،
العجيب العجيب ، يا عُمْدا صنَّاه ، ألا شيء كحزنك ، عذبُ !

***

عُمْدَ الشمس ، يا فجاجاً خلالَ الدهر ، غُرَّ الابعاد ، والقضبانِ ،
ايها السدُّ دون مجرةِ نورٍ ، منبرَ الصبح ، والعلى ، والزمانِ ؛

عُمُدَ الشمس ، قدَّةً من ثباتٍ ، وشراعاً من لازَوَرْدٍ ونُورِ ،
ايها الزورق المحمَّل أياماً يشقُّ العبابَ ، غرضَ العصورِ ؛

ما تضير اعتزازَنا حيرةُ التاريخ يُمضي عن حيِّنا ببنائكْ ،
أنتِ ، يا بعلبكُ ، تدرينه حقًّا ، فخلِّي التاريخَ دون علائكْ !

نحن لا ندَّعي بك الزُّخرف المحدَث ، صنعَ الرومان واليونانِ ،
فخرُنا نحن ، يا أميرةُ ، في الفكرةِ تبنيك آيةَ الازمانِ !

***

ما تبالين ، أنتِ ، بالناس يهوُونكِ ، والحسنُ فيك حسنُ الرجولَهْ ،
وأمانيكِ ما تني في هيامٍ ، منك ، بالناسِ ، منزلٍ إنجيلَهْ !

في انفلاتٍ الى الألوهة تَنهدّين فيها بجنونةٍ بالضياءِ ،
واندفاعٍ مثل الاشعة من أعرافكِ الشمسِ في الزمان الثاني ،

في خطابه به من الله قولُ : « أنا نفسي اقدار نفسي الرواهنْ ،
أنا من مبتغايَ ، خالقُ ذاتي ؛ انا اهوى وابتغي ؛ انا كائنْ ! »

أنتِ ، يا بعلبك ، ثبتةُ أسٍ ، غيرُ تعبى من المدى والبقاء ،
فلذا العبء فيكِ من هائل اللونِ ، وتيجانك العلى من سماء !

حكمة الله ، والزمانُ ، على صخركِ ، صئانٍ في دَدٍ وعناقِ ،
طالعٌ منها حوالي تضاعيفك مثلُ التهدِ المشتاقِ !

يا بني النور ، اخوةَ الفجر ، ما يرميَ بقضي اجسامكم للفناء ؟
ايها الاذرع الثقالُ جراحاً ، أيَّ وتبٍ لكم بقلبِ الفضاء !

∴

قلاعَ بلاديَ ، يا أنجما
ذواتِ قوائمْ
تسيرُ ، دون الحسى ،
بعدّى وعزائمْ !

خطاكنَّ ، والوثباتُ الجوامدْ
بأفق القِدَمْ ،
يزينَ الدهورَ الصوامدْ
بثبتِ القدمْ !

يلاقي بكنَّ العتيقَ العتيقهْ :
أميريَّ جلالْ ؛
والعرس تمشي الحقيقهْ
بقرب الخيالْ !

جبابرةَ الصمت ، والناس حربٌ ،
ويا حالماتْ ،

على شاطىء فيه تكبر
ذرى الكائنات ؟

أرى فيك ، يا بعلبكُ العُنُدْ ،
بكورَ الرجولهْ ؟
دعي العرجلانَ يجُدْ
بجوِ البطولهْ !

فأنتِ ضياء الصباح الطهورْ ،
وبعد الزوالْ ،
تظلّين ، فوق العصورْ ،
جُذىً من جمالْ !

وإن نستعزَّ بمجد الجدودْ ،
تظلّي العَتَدْ ؟
أيا بعلبكُ الخلودْ ،
وإرثَ الأبدْ !

وحولَكِ من زرقةٍ وسنى ،
روىً وألهْ ،
تظلّلُ اعراسنا ،
مع الآلهْ !